مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الثالث - المجلد الثالث والخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

جدلية العلاقة بين التطورات الأدبية واللغوية وامكانية توظيفها في توصيل اللغة العربية للطلبة

د. نجاح هادي كبة

معهد الفنون الجميلة للبنين

الملخص :

تأتي أهمية هذا البحث من أهمية اللغة فهي ليست واسطة لنقل المعرفة من جيل الى جيل فحسب ، بل لها بعد إضافي كونها رابطة توحّد أبناء الأمة الواحدة ، كما تأتي أهمية هذا البحث ايضاً من أهمية اللغة العربية فهي لغة وعي ولغة شهادة كما يقول ماسنيون .

لكن اللغة العربية اليوم تواجه صعوبات في توصيلها للناشئة وذلك راجع الى طرائق تدريسها والى الأساليب القديمة في توصيلها للطلبة ، فلقد تطوّرت طرائق التدريس وأساليبه نتيجة التطورات الحاصلة في ميادين مختلف العلوم والآداب ، لاسيما في مجال علم النفس التعليمي وفي مجال النقد الأدبي وتطوّر الدراسات اللغوية ومدارسها ، لذلك فان هذا البحث يرمّي الى تعرّف التطورات الأدبية واللغوية المعاصرة ، وامكانية توظيفها في توصيل اللغة العربية للطلبة في مجالات التعبير والأدب والنقد والقواعد والاملاء ، ففي مجال التعبير عالج الباحث مشكلات محددة منها مشكلة إلزام الطلبة في الكتابة بالأسلوب المنطقي من الابتداء بالمقدمة والعرض فالخاتمة ، ورأى الباحث ضرورة الاهتمام بكتابة التعبير بواسطة التداعي الحر بأسلوب القصة القصيرة او المقالة وفي مجال الأدب رأى الباحث ضرورة تدريس الأدب على وفق مبدأ الحداثة وتطوّر الفكرة والأسلوب ، وكذلك عالج الباحث مسائل تتعلق بالنقد والقواعد والإملاء على وفق التطورات اللغوية والأدبية الحديثة .

١.مشكلة البحث :

تواجه اللغة العربية اليوم صعوبات في عملية توصيلها للناشئة وهذه الصعوبات لم تمكن في ذات اللغة بل في طرائق تدريسها وأساليبها ، تقول بنت الشاطئ : ((قد يمضي التلميذ في الطريق التعليمي الى آخر الشوط فيتخرج في الجامعة وهو لا يستطيع ان يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه)) ((٦، ص: ٢٣)) .

ولعل من هذه الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة العربية ، تدريسها بصورة تقليدية متوارثة على الرغم من التطورات الحاصلة في مجال علم النفس واللغة ، فعملية التربية والتعليم تتأثر بالتطورات الحاصلة في ميدان مختلف العلوم والآداب وحتى التقنية ، كما تتأثر في الفلسفات المادية وغير المادية ، كالفلسفة الطبيعية والمثالية وفي مجال علم النفس ولاسيما علم النفس التعليمي والفرويدي الذي اثر في الكتابات الأدبية كالقصة القصيرة والمقالة والتعبير بصورة عامة ، إذ شاع فيها مذهب التداعي الحر ، فضلا عن أفكار أخرى تتعلق بموضوع الحداثة كشيوع النقد التفكيكي والإشاري ودورهما في توصيل اللغة العربية ولاسيما في توصيل الأدب والنقد والقواعد والتعبير ، إذ بقيت عملية توصيلها للطلبة بعيدة عن التطورات الأدبية واللغوية الحديثة إذ تقع على مدرسي اللغة العربية مسؤولية الاطلاع على تلك التطورات لكي يتجاوز مشكلات توصيل اللغة العربية للطلبة بسهولة ويسر ، وبما يلائم ميولهم ورغباتهم ولكي لا يكون المدرّس السيّد المطاع في الصف ويكون عقل الطالب كوعاء تصب فيه المعلومات .

ان المعطيات التربوية والميدانية تشير الى مشكلات في توصيل اللغة العربية للطلبة منها قلة الاهتمام بتنمية شخصية الطالب فالمدرس

يكون مرسلاً أما دور الطالب فيكون مستقبلاً من دون الاهتمام بمناقشته في فهم المادة الدراسية لاسيما إذا كانت تلك المادة الدراسية مادة اللغة العربية التي تتعلق بالجوانب الوجدانية للطلبة فضلا عن جانبها العلمي البحت .

لقد تعالت الأصوات في الوطن العربي على ضرورة عملية تحديث توصيل اللغة العربية والابتعاد عن الطرائق والأساليب المتوارثة في توصيلها للطلبة ، وهذه الحقيقة لا تحتاج الى الإثبات ، فما علينا الا ان نسهم بوضع الحلول لها ، وان نتجاوز عقبات توصيل اللغة العربية للطلبة ، بعد ان نحدّد المشكلات ونضع الحلول لها بالأسلوب العلمي ، وهذا ما سيتطرق اليه البحث الحالي .

٢. أهمية البحث والحاجة اليه :

لم تكن اللغة في حياة الأمم والشعوب وسيلة للتفاهم ونقل المعرفة من جيل الى جيل فحسب ، فللغة بعد إضافي كونها رابطة توحد أبناء الأمة الواحدة وتوثق أواصر الروابط النفسيّة والاجتماعية بين أبنائها ، فقيمتها كقيمة الأرض ، وهذا مما يجعلها مقدسة في نظر الشرائع السماوية والإنسان، إذ نزلت الكتب السماوية المقدسة كالقرآن والإنجيل باللغة ولم يكتف الخالق سبحانه وتعالى بالأنبياء والرسل لتبليغ شرائعه فحسب .

واللغة العربية هي لغة الفصاحة والبيان والحكمة شرفت برسالة السماء يقول ماسينون : ((اللغة العربية لغة وعي ، ولغة شهادة ، ويبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن ، للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية ، واللغة العربية بوجه خاص هي شهادة دولية يرجع تاريخها الى ثلاثة عشر قرناً ويقول ايضاً : ((ان في اللفظ العربي جرساً موسيقياً لا أجده

عشر قرناً ويقول ايضاً : ((ان في اللفظ العربي جرساً موسيقياً لا أجده في لغتي الفرنسية)) ((٩، ص : ٦،١)) .

ومن خلال ما تقدَّم فان الاهتمام بطرائق تدريس اللغة العربية وأساليبها اصبح ضرورة ملحة ذلك ((لان التربية الحديثة تتجه الى العناية بأساليب التدريس وتهذيب أصوله وطرائقه ، في ضوء البحوث النفسية ، والتجارب التربوية المتتابعة في ميادين الدراسة ، ومجالات التعليم ، وأصبحت ((طرق التدريس وأساليبه)) عنصراً هاماً في الدراسات التربوية ، تعقد لها البحوث ، وتؤلف فيها الكتب ، ويؤخذ بها الطلاب في كليات التربية ومعاهد المعلمين ؛ وذلك لصلتها القوية بإعداد المعلمين الناشئين ، وتأثيرها المباشر في تأهيلهم تأهيلاً فنيّا لمهنة التدريس)) ((١ ، ص : ٢٣)) .

لذلك فان الاهتمام بطرائق التدريس وأساليبه هو معادل موضوعي للاهتمام باللغة وان تذليل مشكلات تدريس اللغة العربية يشجّع الناشئة على تعلمها فضلاً عن ان طرائق التدريس وأساليبه تشجّع أيضاً على إقامة علاقة علمية سليمة بين الطالب والمدرس مما يجعل الطالب أليفاً مع المدرس وبالتالي مع المادة الدراسية . ان اطلاع المدرس على طرائق التدريس وأساليبه الحديثة يساعده كثيراً في توصيل المادة الدراسية للطلبة ويبني شخصيته داخل الصف ، ذلك لان العملية التعليمية تبنى على أركان أساسية هي المدرس والطالب والكتاب والمدرسة ، ويعد المدرس والطالب أساس عملية التربية والتعليم فضلا عن الكتاب والمدرسة ، وان إعداد المدرس تربوياً وعملياً مما يساعد على إنجاح العملية التعليمية ومن هنا تأتي أهمية البحوث التي تتناول طرائق التدريس وأساليبه لتوصيل المادة الدراسية للطلبة وضرورة

نشرها ، لاسيما تلك البحوث التي تتعلق بتوصيل فروع اللغة العربية من تعبير وادب وقواعد ونقد وإملاء لما لهذه الفروع من أهمية في التحدث والكتابة والحفاظ على سلامة اللسان من الخطأ والزلل علمياً او ادبياً لذلك تأتي أهمية البحث الحالي :

١. من أهمية اللغة العربية بوصفها لغة قومية ودينية .

٢. من أهمية توصيل المعارف العلمية والأدبية بواسطة اللغة العربية .

٣. من أهمية الاهتمام بطرائق التدريس وأساليبه في توصيل اللغة العربية للطلبة .

٤. من أهمية ضرورة إعداد المدرس تربوياً وعلمياً .

٣. هدفا البحث :

يهدف البحث الحالي الى :

١. تعرّف بعض التطورات الأدبية واللغوية المعاصرة .

٢. تعرّف إمكانية توظيفها في توصيل اللغة العربية للطلبة .

٤. حدود البحث :

١. بعض التطورات الأدبية واللغوية المعاصرة .

٢. مادة الأدب والنقد والقواعد والتعبير والإملاء .

٥. تحديد المصطلحات :

١. الحداثة : عرّفها الهاشمي بانها حالة متميزة من الإبداع الذي هو صفة مقرونة به حتماً وهي الطزاجة التي تعني الحرية والتدفق والتجديد والتجاوز ((٢، ص : ١١)) .

وعرفها فرحان : بانها تطوير في الحداثة وليس انسلاخاً عنها لان المنفصل جزء من قانون المتصل ، فالأصول تتلائم مع العوالم الجديدة المتغيّرة . ((٢ ، ص : ١١ ــ ١٢)) .

٢. النقد التفكيكي : عرفه دريدا ((انه طريقة ((حصر البسيط)) او تحليل ، انه يذهب ابعد من القرار النقدي ، من الفكر النقدي فلهذا فهو ليس سلبياً مع انه فُسِّر كذلك على الرغم من كل الاحتياطات النقدية الحديثة)) ((٣ ، ص : ١١٤)) .

وعرفه إبراهيم وآخرون بانه يدل على تفكيك الخطابات والنظم الفكرية واعادة النظر اليها بحسب عناصرها والاستغراق فيها وصولاً الى الإلمام بالبؤر الأساسية المطمورة فيها . ((٣ ، ص : ١١٤)) .

٣. النقد الإشاري : عرفه سوسير بانه :

يربط بين الفكرة والصورة الصوتية وليس بين الشيء والتسمية ولا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية للصوت بل الصورة النفسية للصوت أي الانطباع او الأثر الذي تتركه في الحواس ((١، ص: ٨٤ ــ ٨٥)) .

٤. أسلوب التداعي الحر :

لم يجد الباحث تعريفا محددا للتداعي الحر فعرفه كالآتي :

هو ان يقوم الطلاب بكتابة التعبير من دون تقييدهم بقواعد مسبقة محيدة إذ يتيح لهم المعلم كشف النواحي الشعورية واللاشعورية لدو خلهم في أثناء تعبيرهم ليكشف عن قدراتهم في كتابة الموضوع من خلال تقويم أسلوبهم .

محاور البحث :

١. في التعبير :

يتجه درس التعبير في توصيله للطلبة في مدارسنا اتجاها كلاسيا ذلك ان المعلم يفرض على الطلبة قواعد كلاسيّة في كتابة التعبير كالتقيد بالتمهيد والعرض والخاتمة ، وهو ما يسمى " التسلسل المنطقي

في كتابة التعبير " من دون الاهتمام بالتطورات الحاصلة في الأساليب الأدبية كأسلوب التداعي الحر الذي شاع في كتابة القصة القصيرة بتأثير المدرسة التحليلية الفرويدية ، ذلك ان للإنسان جانبين هما الجانب الشعوري والجانب اللاشعوري وحين نترك للطلبة التعبير عن مشاعرهم بحرية سوف يكتبون التعبير بالأسلوب الذي يختمر في ذاتهم ويبلور شخصياتهم ، ولا يتم ذلك إلا بمعونة المعلم للطلبة فقد يبدأ الطالب بإعطاء نتيجة للحدث مثلا ثم يسترسل في الكتابة عن الحدث بأسلوب أدبي ويستطيع المعلم ان يرشد الطلبة الى الكتابة بأسلوب المقالة الأدبية او القصة وما الى ذلك مثلا لقد حطمت المدرسة التكعيبية الشكل في الفن وأظهرت أساليب فنية جديدة . ان تحطيم الشكل يتبعه إيحاء جديد بالمعنى او المحتوى فيعطينا الفن والأدب أشكالا ومعاني إيحائية رائعة واهتمام المعلم بتوصيل هذه المعلومة الى الطلبة يساعدهم على تطوير أسلوبهم ولاسيما اذا كانوا في المراحل المتقدمة من الدراسة الثانوية ، كما يشجع ذلك على رعاية الموهوبين منهم . يقول جون ديوي :

" الخبرة تنطوي على عنصرين خبرة فاعلة تحدث عن طريق المحاولة والتجربة وخبرة منفعلة تتم عن طريق المعاناة :(٧، ص:٦٧).

ان تطور الأسلوب وظهور المدارس الفنية في الأدب والرسم قد احدث تغيرات مرغوبة في التعبير لكنها لم تحدث تغييرا في تعبير الطلبة ونفور الطلبة من التعبير وضعف المعلمين في ثقافتهم الأدبية (١٣ ، ص : ٣٩) .

٢. في الأدب :

يقسم تاريخ الأدب في مدارسنا وجامعاتنا على وفق الترتيب الزمني الى عصور فيقال العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر

الأموي والعصر العباسي والعصور المتأخرة والعصر الحديث .

ويرتبط هذا التقسيم بعوامل سياسية وأخرى دينية واجتماعية وثقافية ويرى بعض المربين ان يبدأ الطلبة بدراسة العصر الحديث وينتهوا الى العصر الجاهلي ، وحجتهم في ذلك ان أدب العصر الحديث اسهل تناولا من أدب العصر الجاهلي وانه اقرب الى نفوس الطلاب لانهم يعيشون فيه وينفعلون به (١ ، ص : ٣٠١) .

ولكن هذه الحجة لا تثبت للمناقشة فكثير من الادب الحديث يتسم بالدقة والعمق وبُعد الخيال ولهذا يصعب فهمه على الطلاب (١ ، ص : ٣٠١) .

وهناك رأي ثان إذ يقول بعض المربين الا يكون للاعتبارات الزمنية دخل في رسم مناهج الدراسة الأدبية ، ولكي تقوم مناهج هذه الدراسة على الاعتبارات المكانية ومعنى هذا ان ندرس مثلا أدب الجزيرة العربية في كل العصور أو أدب العراق أو أدب الشام او أدب مصر او أدب الأندلس او أدب المغرب ... الخ (١، ص : ٣٠٢) .

ولا يصمد هذا الرأي أمام الحقيقة " لان التطورات الأدبية ترتبط وتتأثر بالأحوال السياسية في اكثر من بيئة ، وشمل كل حادث منها اكثر من وطن عربي، فتتحد النتائج او تتقارب تبعا لذلك (١، ص : ٣٠٢) .

وهناك رأي ثالث " لا يتقيد بالاعتبارات الزمانية ولا المكانية ولكن يفضل ان يدرس الأدب فنونا مختلفة فيدرس مثلا الوصف في الشعر في جميع العصور وجميع البيئات وتدرس الخطابة او المقالة او القصة او المسرحية او نحو ذلك ، ولكن هذا اللون من الدراسة لا يليق بطلاب المدارس ، وانما هو أليق بالدراسة الجامعية للمتخصصين الذين

يتقدمون للدرجات الجامعية العالية وذلك لحاجته الى ان يعتمد على رصيد ضخم من الدراسات الأدبية السابقة (١، ص : ٣٠٢) .

وارى ان دراسة تاريخ الأدب حسب تطور الشكل والمضمون عبر العصور افضل وسيلة لربط بعضه ببعض منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، فتطورات تاريخ الأدب في العصر الحديث هي وليد التطورات التي حدثت في تلك العصور . فليس كل قديم قديما ، وليس كل حديث حديثا وفهم مصطلح الحداثة بهذا المفهوم يساعدنا على فهم التطور الأدبي لتاريخ الأدب شعره ونثره وهناك شواهد كثيرة منها علاقة الشعر الحر بالموشحات الأندلسية وان قصيدة النثر لها علاقة بالنثر الفني المركز وان القصة هي تطور لفن الحكاية الذي شاع في تاريخ الأدب العربي قديماً وان الحوار في الشعر العربي في العصر الجاهلي او الإسلامي او الأموي او العباسي ... الخ يرتبط ويساعد على فهم تأثير العرب في الشعر والفن المسرحي .

ان دراسة الأدب على وفق مبدأ الحداثة يقرّب إلينا عملية الإبداع في ان نفهم ما قيل في العصر الجاهلي من شعر قد يكون من وجهة نظر معاصرة حديثا او حداثويا حسب المنظور النقدي ، وان ما قيل من شعر في العصر العباسي يتسم بألفاظ وأوزان ومعان حضارية قد يكون حداثويا في الفهم النقدي وهكذا يدرس تاريخ الأدب من خلال تطور الأسلوب والفكرة عبر العصور .

٣. في النقد :

وفي تدريس النقد الأدبي في مدارسنا وجامعاتنا علينا ــ نحن المعلمين ــ ان نوجه اهتمام طلبتنا الى ما شاع من نظريات نقدية معاصرة والا يقتصر تعليمنا للنقد على المنهج الكلاسي الذي يهتم

بالشكل والمضمون والعاطفة والخيال فقط او ان نكون من أصحاب المدرسة النقدية التي ترى ضرورة التقيّد في النقد بما قاله الشاعر او الكاتب كما هو من دون الاهتمام بالنواحي اللاشعورية في النص الأدبي ، وعلينا ان نترك الحرية للطلبة في التفسير النقدي على وفق الأسس الجمالية والأسلوبية وان نستفيد مما شاع في النقد من فكرة موت المؤلف عند رولان بارت او مشيل فوكو وموت المؤلف يعني ان المبدع سواء اكان شاعرا ام ناثرا تنتهي مهمته بعد إبداعه للنص بل تنقطع صلته به ، ويأتي دور الناقد فيقوم بتفسير النص الأدبي من وجهة نظره . ان النقد التفكيكي الإشاري للنص الأدبي يساعد القارئ ولا سيما الطلبة على توسيع اذهانهم وتطوير تفكيرهم وتعليمهم حرية القول والفعل ، يقول سهيل إدريس : " ان النقد بمفهومه الحديث يستعين استعانة واسعة بسائر العلوم والفنون ويستمد كثيرا من أحكامه وتطوراته من علم النفس والاجتماع بصورة خاصة ليحاول فيما يحاول ان يموضع الأثر المدروس بالنسبة لمعطيات السلوك البشري ومعطيات المجتمع الذي ينبع عنه (٤ ، ص : ٤١) .

ويضيف سهيل ادريس : " ومهما قيل من ان الأديب المبدع يتبع في نتاجه دوافع موهبته وحدها ، فهو يفيد بلا شك من نقد الناس لاثاره ، وقد تأتي هذه الفائدة بطريقة لا واعية فإذا أضفنا الى هذا كله ما يثيره الناقد عادة من حركة أدبية ونشاط ذهني وما يستتبعه من تشجيع على الكتابة والمحاولة أدركنا أهمية هذا اللون من النتاج الأدبي في أدبنا المعاصر (٤، ص : ٤٠ ــ ٤٢) .

فمشكلة فهم الطلبة للنصية يفترض به ان يسير على وفق الوعي واللاوعي والجوانب الشعورية للطلبة مع إلمامهم بفنون العلوم

الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع فضلا عن فهمهم الأدب ومستلزمات الناقد والنقد .

٤. في القواعد :

يقول دي سوسير " والقواعد تدرس اللغة على انها نظام وسائل التعبير والشيء القواعدي يعني السنكروني (التزامني) الذي له معنى ، ولما كان النظام لا يضم فترات كثيرة لم يوجد شيء اذن يسمى " القواعد التاريخية " .

ان المادة التي تطلق عليها هذه التسمية ما هي الا علم اللغة التاريخي ، ويضيف دي سوسير :

" ان التعريف الذي قدمته للقواعد يختلف عن التعريف الضيق السائد ، فقد جرت العادة ان يطلق على الصرف Morphology والنحو Syntax في حين يستثنى من هذه التسمية المعجم Lexicology او علم الكلمات ... فالتعريف ليس قائمة من الأمور المنطقية المجردة بل انه يتكون من الجمع بين المسالتين ، فالأشكال والوظائف يعتمد بعضها على الآخر ، ومن الصعب بل من المستحيل الفصل بينهما ، من الناحية اللغوية ، فالمعجم ليس له موضوع مستقل فهو لا يكون موضوعا متميزا عن النحو .... الصرف والنحو والمعجم يتصل بعضها ببعض وتتداخل جميعها لان الحقائق السنكرونية (التزامنية) متماثلة ولا يمكن رسم حدود تمييز بينهما سلفا ، ويقتصر التمييز بين الصنفين المذكورين سابقا ــ وهي العلاقات السنتاكمية والعلاقات الإيحائية وهذا هو التمييز الوحيد الذي لم يفرض من الخارج فلا يمكن لنظام القواعد ان يكون له أساس آخر غير هذا الأساس (١٠ ، ص : ١٥٤ ــ ١٥٦) .

وقد أفادت دراسات دي سوسير هذه القواعد في تغيير كثير من المفاهيم وهي الفصل بين وظيفة القواعد والصرف والمعجم وعدَّ دي سوسير هذه الفروع متصلة الوظيفة في دراسة تركيب الجملة ولا فصل بينهما الا من الناحية المنطقية الخارجية .

ان دراسة دي سوسير هذه لها جانب مهم في إمكانية الاستفادة منها في عملية التربية والتعليم وفي توصيل النحو العربي الى أذهان الطلبة وذلك ان تدريس النحو يجب ان يقترن بتدريس الصرف ويقترن أيضا بتدريس المعجم ، فالنحو في اللغة العربية يدرس التغييرات التي تحدث على أواخر الكلم والصرف يدرس التغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة والمعجم وظيفته معلومة بإعطاء معاني المفردات وتبيان اشتقاقاتها وجذورها وما الى ذلك من وظيفة .

ان اعتماد هذه الفروع في التدريس " النحو والصرف والمعجم " من خلال تركيب الجملة يساعد الطلبة على الوصول الى فهم السياق القاعدي بيسر فلم يعد تركيب الجملة قاعديا منفصلا عن النواحي الصرفية والمعجمية . لنأخذ مثلا جملة (نظر محمد الى الزهرة) فإعراب نظر فعل ماضٍ لكن هناك فرقا بينه وبين استعمال حدَّق في الجملة كقولك (حدَّقَ محمد بالزهرة) فالنظر غير التحديق الذي من ابسط معانيه التدقيق بالنظر وتشديده في حين تعني نظر التأمل بالشيء [انظر مختار الصحاح مادتي حدّق ونظر) .

وزيادة فهم الطلبة لمعنى الجملة يعني زيادة في فهمهم تلك الجملة فالطالب يجب ألا يمر مرور الكرام على إعراب الجملة بأسلوب منطقي مجرد إذ يساعده فهم معنى المفردات بواسطة المعجم على فهم تركيبها القاعدي أو إعرابه ، ففي النحو حين ينظر الى أواخر الكلمات

نحصل على الإيحاء وحين ننظر الى الكلمة من الناحية السنتاكمية نحصل على الإيحاء أيضا .

يقول دي سوسير :

" ينبغي إذن أول الأمر ان نجمع كل ما تتكون منه الحالة اللغوية ثم نضع هذه العناصر في نظرية للسنتاكميات والأخرى للعلاقات الإيحائية ونجد في الحال ان بعض أجزاء القواعد التقليدي تناسب الصنف الأول بسهولة ، في حين تطابق الأجزاء الأخرى الصنف الآخر فإعراب أواخر الكلمات هو ولا شك نموذج مثالي للترابط الإيحائي بين الأشكال الذي يحصل في عقل المتكلم : والنحو (أي نظرية الجمع بين الكلمات طبقا للتعريف المعروف) يعود الى نظرية السنتاكم ، لان هذه المجموعات تعتمد دائما على وحدتين في الأقل موزعتين في الفراغ المكاني ولا يصح ان نصنّف كل حقيقة سنتاكمية الى سنتاكم ولكن كل حقيقة نحوية تعود الى صنف السنتاكم (١٠ ، ص : ١٥٦) .

ان جهود دي سوسير في دراسة وظيفة النحو مع الصرف والمعجم في الجملة فضلا عن دراسته الفرق بين اللغة ولكلام ساعد كثيرا على فهم الإيحاء الذي هو وظيفة القواعد .

ان تفريق دي سوسير بين الكلام واللغة من ان الكلام له معنى إشاري مجرد في حين ان اللغة لها معنى إيحائي هو الآخر ساعد على الفهم القاعدي للجمل .

ان إمكانية الاستفادة من أفكار دي سوسير في عملية تدريس قواعد اللغة العربية في مدارسنا تعد خطوة رائدة في نظري .

ويعد ظهور النظرية التوليدية التحويلية لتوم جومسكي عام ١٩٥٧م هي الأخرى التي ساعدت على تطوير التفكير التربوي اللغوي .

واحدثت هذه النظرية ثورة في الدراسة اللغوية في أمريكا و(الى حد اقل) في أوربا واتت بمفاهيم لغوية جديدة منها ان نظام القواعد (كما يسميه جومسكي في بعض الأحيان) هو قدرة المرء على الاستعمال غير المحدود لوسائل محدودة بدلا من تأكيد الفروق بين اللغات ، كما تفعل المدرسة البنيوية ، وكذلك تهتم بالقدرة العقلية التي تكمن وراء الكلام ويسميها جومسكي " القدرة Competence" ويميزها عن المظهر الخارجي والكلام وما يفعله المرء عمليا من هذه القدرة اللغوية ويسمى هذا المظهر بـ " الإنجاز Performance " .

لذا يحاول جومسكي ان يبني نموذجه اللغوي على هذا الأساس فيجعل نظام القواعد في نظريته عبارة عن مجموعة قوانين واضحة تولد جملا قواعدية ... وقد وصف جومسكي هذه القواعد بـ " الوضوح " وهذه الصفة جوهرية في نظامه (٨ ، ص : ٥٠) .

وتؤكد طرائق التدريس في العصر الحديث أهمية ان تكون القواعد في خدمة اللغة لا العكس فالغاية من القواعد ان يتعلم الطلبة الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة في تعبيرهم وليس الغاية من القواعد ان تكون مجردة عن خدمة اللغة .

فنحن نستطيع حسب نظرية جومسكي ان نوجه انتباه الطلبة في تعليمهم اللغة العربية على ضرورة توليد الجمل من بعضها بصورة واضحة لكي ننمي فيهم ما اسماه جومسكي القدرة أي القدرة اللغوية فيستطيع الطالب مثلا ان يولد من جملة :

نجح محمد في الامتحان

عدة جمل منها :

محمد نجح في الامتحان

في الامتحان نجح محمد

ويستطيع الطالب ان يطور تعبيره بقوله :

ان محمداً ناجح في الامتحان

كان محمدٌ ناجحا في الامتحان .

محمدٌ كان ناجحا في الامتحان

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي إعراب هذه الجمل فيكون لكل جملة إعراب مختلف عن الجملة الأخرى لاختلاف المعنى ، ومن هنا نستطيع ان نكسب فهم الطالب للتعبير والقواعد معا .

٥. في الإملاء :

الإملاء : وسيلة لتعليم الطلبة الرسم الصحيح للكلمات وترسيخ صورها الصحيحة في ذهن المتعلم وتعويده السرعة في الكتابة وتثبيت العادات الجيدة لدى المتعلم كحسن الاستماع وتزويده بالخبرات والمهارات الكتابية وتمكينه من استعمال علامات الترقيم استعمالا صحيحا وللإملاء وظيفة حضارية في نقل التراث الحضاري وتدوينه والمحافظة عليه واي خلل في الرسم البنيوي للكلمة يؤدي بالضرورة الى خلل في تفسير التركيب اللغوي ومضمونه كالغلط في كتابة المفردات المتشابهة لفظا والمختلفة معنىً مثل :

ضنّ / ظنّ ، ضلّ / ظلّ ، ضفر / ظفر ، لذلك فالكتابة الصحيحة عامل مهم من عوامل التوصيل بين المرسل والمستقبل وعنصر فعال يعكس ديناميّة ثقافة المجتمع وعلاوة عل ان الغلط الإملائي يقلل من قيمة الكاتب وينتقص من شخصيته (١٢) .

ان استعمال قوالب قاعدية جامدة في تعليم الطلبة الإملاء يجعل اللغة في خدمة القواعد ذلك لان الطالب يحفظ قواعد مجردة اكثر مما يمكنه من التطبيق الوظيفي في الكتابة .

ان الرسم الكتابي يخضع لاحساسات بصرية وسمعية وعقلية ، واستغلال هذه الاحساسات من خلال دروس المطالعة والتعبير والنصوص يساعد الطالب على تعلم الرسم الإملائي فتنطبع صور الكلمات في ذهن الطلاب وذلك باختيار نصوص إبداعية من روائع الادب العربي وتدريب الطلاب على قراءتها او كتابتها والتعبير عنها (١٢) .

ان هذا الاتجاه في تعليم الإملاء للطلبة يتناسب ودعوات ابن خلدون والجاحظ في ضرورة الاهتمام بالتعبير والتخلص من عويص القواعد كما يتناسب مع دعوات التربويين المعاصرين من ضرورة جعل القواعد في خدمة اللغة .

فقد وجد ابن خلدون المعلمين على أيامه قد اغفلوا استعداد المتعلم ، فضلّوا السبيل في التعلم وتخبطوا واختلفوا ففريق كلفوا المتعلم الاطلاع على كل مؤلفات المادة لواحدة بمراعاة طرقها وحفظها كلها او أكثرها ... واخرون أخذوه في العلوم المختلفة بحفظ متون مختصرة جامعة لكثير من المعنى في قليل من اللفظ ... وطريقة الأولين عنده عائقة وطريقة المتأخرين عنده مخلة بالتعلم (٥ ، ص : ٢٨٣) .

كما نادى التربويون في العصر الحديث بضرورة الاهتمام بتنمية القراءة والكتابة والتحدث والاستماع عند الطلبة بدلا من حشو أدمغتهم بالقواعد المجردة . يقول زكي مبارك : " أننا لا نعني بخلق الملكة البيانية في نفوس الطلبة بل نصب اهتمامنا على العناية بعلوم

اللغة ... ولا نشك في ان الذي يخلق الملكة البيانية هو الإكثار من قراءة النصوص الرفيعة وحفظها (١١ ، ص : ٩٥ ــ ٩٦) .

لذلك فان الاهتمام بجعل القواعد في خدمة اللغة حقيقية يلمسها كل مربٍ ليس في توصيل الإملاء وحده بل في توصيل كل فروع اللغة العربية الأخرى من تعبير وادب ونقد وقواعد وبلاغة وإملاء .

استنتاج وتعقيب :

من خلال محاور البحث يوصي الباحث :

١. ضرورة عدم إلزام الطلبة بكتابة التعبير بأسلوب محدد وترك الحرية لهم في الكتابة على وفق التداعي الحر والميول والرغبات مع الالتزام بمبدأ أعط الحرية وراقب .
٢. ضرورة تدريس الأدب على وفق التطور الحداثوي من خلال تطور الأسلوب والفكرة عبر العصور .
٣. ترك الحرية للطلبة في نقد النص الأدبي وعدم إلزامهم بقواعد جامدة في النقد عفا عليها الزمن وتشجيعهم على استكناه ما في النص من عوامل شعورية ولا شعورية .
٤. عدم الاقتصار في تدريس قواعد اللغة العربية على النحو فقط ، وضرورة تدريسها من خلال النحو والصرف والمعجم فهذه العوامل الثلاثة تتضافر لتقريب الفهم القاعدي للجملة العربية .
٥. الاتجاه وظيفيا في تدريس الإملاء من خلال القراءة والكتابة وعدم فرض قواعد جامدة في تدريسه .

المصادر :

١. إبراهيم ، عبد العليم / الموجه الفني لمدرسي اللغة العربيـــة / دار المعارف . مصر / ط : ٤ / ١٩٦٨م .

٢. إبراهيم ، عبد العزيز / إنشاد شعر الحداثة / الموسوعة الثقافيـــة ، دار الشؤون العامة / بغداد / ٢٠٠٤م .

٣. إبراهيم ، عبد الله واخرون / معرفة الآخر / مدخل الـــى المنـــاهج النقدية الحديثة / المركز الثقافي العربي / ط : ١ / ١٩٩٠م .

٤. اوريس ، يوسف / مواقف وقضايا أدبية / دار الآداب / بـــيروت / ط : ١ / ١٩٧٧م .

٥. إسماعيل ، ظافر محمد ويوسف الحمادي / التدريـــس فـــي اللغـــة العربية / الرياض / ١٩٨٤ / نقلا عن كتاب التربية في العصـــور الوسطى لشرف الدين محمـــود خطـــاب / ص : ٢٨٣ / وينظـــر مصدره .

٦. بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمـــن / لغتنـــا والحيـــاة / مطبعـــة الجيلاوي / مصر / ١٩٦٩م .

٧. الجعفري ، ماهر إسماعيل وآخرون / فلسفة التربية / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / بغداد / ١٩٩٣م .

٨. جومسكي ، توم / البنى النحوية / ت : يوئيل يوسف عزيـــز / دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد / ١٩٨٧م .

٩. الحلي ، احمد حقي / محاضرات في أصول تدريس قواعـــد اللغـــة العربية / طبع بالرونيو / مكتب باسم للطباعة / بغداد / ١٩٨٢م .

١٠. سوسير / علم اللغة / ت : توئيل يوسف عزيز / دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد / ١٩٨٧م .
١١. العزاوي / نعمة رحيم / احمد حسن الزيات كاتباً وناقداً / منشورات وزارة الثقافة / نقلا عن كتاب دفاع عن البلاغة لاحمد حسن الزيات / ط : ٢ / ١٩٧٧م / ص : ٦٢ ــ ٦٦ وينظر مصدره .
١٢. كبة ، نجاح هادي / أساليب ميسّرة لتدريس الإملاء / جريدة الثورة، بغداد ، العدد الصادر في ٢٣ / ٣ / ٢٠٠٠م صفحة ثقافة .
١٣. الهاشمي ، عبد الرحمن عبد علي / مشكلات تدريس التعبير التحريري في المرحلة الإعدادية في العراق / كلية التربية / ابن رشد / ١٩٨٨م / رسالة ماجستير غير منشورة .